سلسلة حكايات قرآنية (٨)

هدهد الخير

إعداد

منصور علي عرابي

obeikandl.com

obeikandl.com

شَرَّفَ اللهُ بعضَ الحيَواناتِ والطيورِ بذكر أَسمائِهَا في القُرآنِ الكريمِ، وكانَ من بينِهَا الهُدهدُ، فقَدْ جَاءَ ذكرُهُ في قصَّةِ نَبيِّ اللهِ سُليمانَ ـ عَلَيهِ السَّلَامُ ـ، ومَا حدثَ بينَهُ وبينَ مَلكةِ اليمنِ السَّيدةِ بِلقِيسَ.

والهدهدُ قامَ في هذهِ القصَّةِ بدورٍ كبيرٍ وعَظيمٍ، حيثُ كانَ هو الدَّاعيَ للخيرِ، وهو المحرِّكَ الفِعليَّ لأحداثِ القصَّةِ مُنذُ بدايتِهَا، وذلكَ حينَ رأَى قومَ بلقِيسَ يسجدونَ للشَّمسِ منْ دونِ الله، فحزنَ عليهم حُزنًا شَديدًا، وأَهمَّه أَمْرُهم، وراحَ يفكِّرُ كيفَ ينقذُ هؤلاءِ النَّاسَ من الكفرِ والضَّلالِ، ويأخذُ بأيدِيهمْ إلى طريقِ الفلاحِ والنَّجاةِ، طريقِ الإيمانِ باللهِ الواحدِ.

وفي هَذَا الكتَابِ نتعرَّفُ عَلى هُدهدِ سُليمانَ، والدَّورِ الذي لعبَهُ حتَّى كانَ سببًا في إيمانِ بلقِيسَ وقومِهَا، والمكَافَأةِ الَّتي كافأَهُ اللهُ بهَا نظيرَ هَذا العَملِ الجليلِ.

الهُدهدُ في مُلكِ سُليمانَ

كانَ الهدهدُ جُنديًّا في جيشِ سُليمانَ ـ عَلَيهِ السَّلَامُ ـ، فَقدْ كانَ هذا الجيشُ يتكوَّنُ من الطيرِ والإنسِ والجنِّ، قالَ تعالَى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧].

وقَدْ سَخَّرَ اللهُ ـ عَزَّ وجلَّ ـ لسليمانَ كلَّ هَذا، وأعطاهُ مُلكًا عَظيمًا استجابةً لدعوتِهِ التي دعاهَا حينَ قالَ: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾ [ص:٣٥].

فسخَّرَ اللهُ لهُ الرِّيحَ تطاوعُهُ، وتجري حَسَبَ رَغبتِهِ، وسخَّرَ لَه الشَّياطينَ يُطيعُونَهُ وَيُنَفِّذُونَ أَوَامِرَهُ، ويصنعونَ لهُ كُلَّ مَا يَطلبُ، وعَلَّمهُ لُغةَ الطَّيرِ والحيوانِ، فصَارَ يفهمُ مَا تريدُ، ويَعرفُ كيفَ يتفاهمُ بعضُهَا مع بعضٍ، قالَ تعالَى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النمل: ١٦].

وكانَتْ مَهَمَّةُ الهُدهدِ في هَذا الجيشِ أنَّهم إذَا احتاجُوا إلى الماءِ وهُمْ في الصحراءِ والجبالِ في السَّفرِ والرِّحلاتِ

الطويلةِ، يطلبُون منهُ أَنْ ينظُرَ إلى بَاطنِ الأرضِ، ليدلَّهم عَلى المكانِ الذي بهِ مَاءٌ قَريبٌ، وذلكَ لأنَّ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أودعَ فيه القُوَّةَ البصريَّةَ الشَّديدةَ، فهُو يستطيعُ رُؤيةَ الماء تحتَ تُخومِ الأرضِ، فإذَا دلَّهم علَى المكانِ الذي فيهِ مَاءٌ قَريبٌ قامُوا بالحفر في هَذا المكانِ، واستخرجُوا منهُ الماءَ، واستعملُوهُ لحاجتِهِمْ.

وكانَ هَذا الهدهدُ ذكيًّا نَشيطًا، يحبُّ السفرَ والتَّرحَالَ، ينظرُ في الكونِ، ويمرُّ على البلدانِ، يَرى النَّاسَ وعَاداتِهم، فخرجَ يَومًا وحدَهُ وأَخذَ يطيرُ من الشَّام في اتجاه اليمنِ، ولَمْ يعلمْ سُليمانُ ـ عَلَيهِ السَّلَامُ ـ بخروجِهِ، ولم يكُنِ الهدهُد قَدْ أخبرَ أَحدًا برحلتِهِ تلكَ.

الهدهدُ في سَبأ

ظلَّ الهدهدُ يطيرُ حتَّى وصلَ إلى مملكةِ سَبأٍ، وكانَ ذلكَ في صَباحِ يومٍ مُشرق جَميلٍ، فوجدَ الهدهدُ أنَّ هَذه المَملكةَ تحتَ قيادةِ امرأةٍ، وكانَتْ هَذه المرأةُ هي الملكةَ بِلقِيسَ، وكانتْ ذاتَ حكمةٍ ودهاءٍ، استطاعَتْ أَنْ تصلَ إلى حُكمِ البِلادِ، وتُحكم عليهَا قبضتَهَا، حتَّى دانَ لهَا الجميعُ

بالولاءِ والطاعةِ؛ ولاحظَ الهدهدُ قُوةَ الملكَةِ بلقيسَ، وملكَهَا العَظيمَ، ومَا شيَّدتهُ من قُصورٍ، ومَا قامَتْ به من العمرانِ، ومَا أنعمَ اللهُ بهِ عَلى هذه البلادِ من الخَيراتِ الكثيرةِ، والثمارِ، والماءِ العَذْبِ وغيرِ ذلكَ..

ولفَتَ نظَرَ الهُدهد أمرٌ عجيبٌ، أَحزنَهُ حُزنًا شَديدًا، إذْ وجدَ الهدهُد أن الملكةَ تتوجَّهُ برؤساءِ القومِ وسادتِهِمْ إلى معبد يُسمونَهُ معبدَ الشمسِ، وتساءلَ الهدهدُ في نفسِهِ: لماذَا يذهبونَ إلى المعبدِ؟! وسَارَ الهدهدُ خلفَهُمْ وهم لا يرونَهُ حتَّى دخلَ المعبدَ معهُمْ، ووقفَ على بناءٍ مُرتفعٍ ينظُر مَاذا يفعلونَ، والتفَّ الكهنةُ حَولَ الملكةِ والقادةِ، وبدؤُوا يقيمونَ شَعائرَ وطُقوسًا مُعينةً، حتَّى صَارَتِ الشمسُ في كَبدِ السَّماءِ فسجدُوا لهَا جَميعًا، وهُنا علمَ الهدهدُ أنَّ الملكةَ وقَومَهَا مشركونَ باللهِ، ويسجدونَ للشَّمسِ من دونِ اللهِ، ويعتقدونَ أنَّها إلَـهُهُمُ الذي يستحقُّ العِبادةَ، فحزنَ الهدهدُ، وقالَ في نفسِهِ: كيفَ يسجدونَ للشمسِ وهي مَخلوقٌ من مَخلوقاتِ اللهِ؟! إنَّ هذه الشَّمسَ لا تنفعُ ولا تضرُّ إلا بإذنِ اللهِ تباركَ وتعالَى، وهُو الذي سخَّرهَا للإنسانِ، كيفَ يَعبدُونَها ويتركونَ

عبادةَ اللهِ الواحدِ الأَحدِ، الذي سخَّرَ هذه الشَّمسَ وغيرهَا من المخلوقاتِ، والذي يُخرج لنَا الرزقَ من الأرضِ؟! إنَّ هؤلاء القَومَ في ضلالٍ كبيرٍ، ولا بدَّ أَنْ أخبرَ سَيدي نبيَّ الله سُليمانَ ـ عَلَيهِ السَّلَامُ ـ بأَمرِهِمْ حتَّى يَدعوهم إلى عبادة اللهِ وحدَهُ وتركِ عبادةِ الشَّمسِ، ويُخرجَهُمْ مِن هذه الظلماتِ إلى النُّورِ والإسلامِ. وبالفعلِ تركَ الهدهدُ مدينةَ سَبأ وخرجَ يريد العودةَ إلى الشَّامِ.

مُحاكمةُ الهدهد

أثناءَ غيابِ الهُدهدِ أَرادَ سُليمانُ أَنْ يخرجَ في رحلةٍ إلى الصَّحراءِ، فقامَ يَطمئنُّ على جُنودِهِ، ويتفقَّدُ كلَّ جُندي، فإذَا بهِ لا يجدُ الهدهدَ في مكانِهِ، فسألَ عنهُ فلم يُخبرهُ أَحدٌ، فتوعَّدَ سُليمانُ ـ عَلَيهِ السَّلَامُ ـ الهُدهدَ بأَنْ يعذِّبهُ أو يذبحَهُ إذَا لم يكُن لهُ عُذرٌ في غيابِهِ هذا، قَالَ تعالَى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ٢٠ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾ [النمل: ٢٠-٢١].

ولَمْ يمضِ وقتٌ طويلٌ حتَّى وصلَ «الهدهدُ» إلى الشَّامِ،

فقابلَهُ أَحدُ الطيورِ، فأَخبَرهُ بما قالَهُ نبيُّ اللهِ سُليمانُ ـ عَلَيهِ السَّلَامُ ـ وبوعيدِهِ لهُ بالعذابِ أو الذَّبحِ، فسألهُ الهدهدُ: أَلَم يَستثنِ؟ فأخبَرهُ الطائرُ: بأَنَّهُ لا يُنجِّيه من ذلكَ إلا أن تكونَ عندَهُ حجَّةٌ قَويَّةٌ ويُثبت أَنَّهُ كانَ يُؤدِّي عَملًا. فحمدَ الهدهدُ ربَّهُ، ودخل على نبيِّ اللهِ سُليمانَ، ووقفَ أَمامَهُ، وقرَّر أَنْ يَبدأَ الكلامَ بسرعةٍ قبلَ أَنْ يسألَهُ سليمانُ ـ عَلَيهِ السَّلَامُ ـ عن سَبب غيابِهِ، فقالَ على الفورِ يُبرِّرُ غيابَهُ: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل:٢٢].

فنظَر سُليمانُ ـ عَلَيهِ السَّلَامُ ـ إلى الهُدهدِ في دَهشةٍ، إذ كيفَ يَعرفُ هَذا الهدهدُ المسكينُ مَا لا يعرفهُ سُليمانُ؟! وسكتَ سُليمانُ ـ عَلَيهِ السَّلَامُ ـ وانتظرَ أَنْ يُكملَ الهُدهدُ حَديثَهُ، فقالَ الهدهدُ: ﴿إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٢٣ ـ ٢٤].

ثُمَّ سكتَ الهدهدُ قَليلًا، ثُمَّ قالَ في تعجُّبٍ ودَهشةٍ: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ

مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ٢٥ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [النمل: ٢٥ ـ ٢٦].

وأمامَ هذه الدَّعوَى، لَمْ يَستطعْ نبيُّ اللهِ سُليمانُ ـ عَلَيهِ السَّلَامُ ـ أن يُحاكمَ الهدهدَ أو يُعاقبَهُ على غيابِهِ، فقَدْ جاءَهُ بأَمرٍ عَظيمٍ، وثبتَ أنهُ كانَ في مَهَمَّةٍ جَليلةٍ، فدَعوة النَّاسِ إلى عبادة اللهِ الواحدِ هي أَهمُّ مَهَمَّةٍ، وهي الوظيفةُ الأُولى والأَساسيةُ للرسلِ والأَنبياءِ جَميعًا، فشغلَ هَذا الأمرُ فكرَ سُليمانَ ـ عَلَيهِ السَّلامُ ـ وملكَ عليه عقلَهُ ولبَّه، وأرادَ أَنْ يتأكَّدَ من صِدقِ دَعوى الهُدهدِ، وقَدْ علمَ أَنَّهُ صَادقٌ من حرقةِ حَديثِهِ وحزنِهِ على هَؤلاءِ النَّاسِ، ولكنَّ سُليمانَ أَرادَ أَنْ يزدادَ يقينًا، إلى جانبِ أَن يبدأَ في دعوةِ هَؤلاءِ القومِ لعبادةِ اللهِ الواحدِ، المستحقِّ للسجودِ والطَّاعةِ دُونَ خلقِهِ، فكتبَ رِسَالةً قال فيهَا: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٠ ـ ٣١].

ثُمَّ وقَّعَ عَلى الرِّسالة بإمضائهِ، ثُمَّ طَواهَا، وأَعطاهَا للهُدهدِ، وقالَ لهُ: ﴿ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ﴾ [النمل: ٢٨].

حَاملُ الرِّسالةِ

حَملَ الهدهدُ رسالةَ سُليمانَ ـ عَلَيهِ السَّلامُ ـ، وخرجَ من الشامِ يطيرُ إلى اليمنِ، والرِّسالةُ في منقارِهِ حتى دخلَ قصرَ الملكَةِ بلقيسَ في سَبأ، وكانَتِ الملكةُ في غرفتِهَا الخاصَّةِ، فدخلَ الهدهدُ إلى الغُرفةِ من نَافذةٍ كانَتْ مفتوحَةً، وألقى عليهَا الرِّسالةَ، فأخذتها وهي مُتعجِّبةٌ، وفتحتْهَا وقرأتْهَا، فاضْطربَتْ قَليلًا، وأخذَهَا شَيءٌ من الخوفِ، فخرجَتْ إلى العرشِ، وأَصدرَتِ الأمرَ إلى الوزراءِ والقادةِ بالمثولِ بينَ يديهَا لأمرٍ هَامٍ وعَاجلٍ، فَأَسرعَ الجميعُ إلى مَحلِّ الحكمِ، وانعقدَ المجلسُ، فقالَتِ الملكةُ: يَا أيُّها الأُمراءُ والوزرَاءُ وأَكابرَ دَولتي، لقَدْ أُلقي إليَّ كتابٌ كريمٌ. ثُمَّ أَخرجتِ الرسالةَ وفتحتهَا وقالَتْ: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾ [النمل:٣٠ ـ ٣١].

إِنَّـهُ يطلبُ منَّا أن نتركَ عبادةَ الشمسِ، ونعبدَ اللهَ الذي يعبدُهُ، فماذَا ترون؟

فقالُوا: ﴿نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ﴾ [النمل: ٣٣].

فقالَتِ الملكةُ: إنَّ حَديثَكم عن قُوَّتِكُمْ وبَأسِكُمْ يشعِرنِي أنَّكم تُريدونَ الحربَ معهُ، وأنَّكم على استعدادٍ لذلكَ.
فقالُوا: نَعم، ومعَ هذا فإنَّنا نتركُ الأمرَ لَكِ.

فقالَتْ: هَذا ليسَ بالرأي؛ لأنَّ الحربَ تُفسدُ كلَّ شَيءٍ، والملوكُ إذَا غَزوا دولةً ودخلُوهَا أفسدُوها، وجَعلوا أعزةَ أهلِهَا أذلةً، وهَذا الملكُ واضِح من رسَالتِه أنَّه يتكلَّمُ من منطقِ قُوةٍ، فإذَا جاءَ وحاربَنَا، وانتصرَ علينَا، هدمَ بيوتَنَا، وخرَّبَ بلادَنَا، وقتلَ رجالَنَا، واستحْيا نساءَنَا، فنصبحُ ضِعافًا لا نملكُ شَيئًا، ولَنْ تقومَ لنَا قائمةٌ بعدَ ذلكَ. فقالُوا لها: فماذَا تَرينَ أَنْ نفعلَ؟ قالَتْ: سَأرسلُ إليه هَديةً عظيمةً، فإنْ قبلهَا كُفينَا شرَّهُ، وفي نفسِ الوقتِ نُوصي من نُرسلهُ بأَن يَرى ويعلمَ مقدارَ قُوَّتِهِ، وعددَ جيشِهِ، فنعلَم إنْ كانَ لنَا بحربِهِ طَاقةٌ أَمْ لَا.

فوافقَ الجميعُ عَلى هَذا الرَّأي، واستدعَتِ الملكةُ رجلًا من كبارِ رجالِهَا، وقالَتْ لهُ: سَأرسلكَ إلى سُليمانَ بهدايَا، فانظرْ ما يفعلُهُ واعرفْ لي قُوَّتَهُ، وعُدْ إليَّ وأَخبرني بكلِّ شَيءٍ عرفتهُ عنهُ، ثُمَّ أَعدَّتْ هَدايا عَظيمةً وأعطتهَا للرَّجلِ، فحملَ الرَّجلُ الهدايَا وخرجَ ومعهُ كَثيرٌ من الرِّجالِ قاصدينَ الشَّامَ.

وكانَ الهدهدُ قَريبًا من هَذه الأَحداثِ جَميعًا، يَرى ويَسمعُ ما يدورُ في القصرِ الملكي، فلمّا خرجَ رَسُولُ بلقيسَ بالهدايَا أَسرعَ الهدهدُ، وسبقَهُ إلى الشَّامِ، فدخلَ على نبيِّ اللهِ سُليمانَ ـ عَلَيهِ السَّلَامُ ـ وأَخبره بكلِّ مَا حدثَ وما دارَ في القصرِ، وبأنَّهم قَرَّروا أَنْ يُرسلوا لهُ هَديةً، وقَدْ خرجَ بهَا رَسُولُ الملكةِ وهو في الطَّريقِ إليهِ.

فلمَّا علمَ سُليمانُ ـ عَلَيهِ السَّلَامُ ـ من الهدهدِ ذلكَ، أرادَ أَنْ يَعرضَ قوّتَهُ وجيشَهُ أَمامَ رَسُولِ بلقيسَ، فأَمرَ الجنَّ والإنسَ والطيرَ أن يقفُوا في صُفوفٍ مُتراصَّةٍ يُظهرونَ قُوَّتَهم أَمامَ رَسُول بِلقيسَ، كمَا أَمَر أَنْ يُزيّنوا مَكانًا لاستقبَالِهِ، وبالفعلِ تمَّ ذلكَ كلُّه..

وجاءَ رجالُ بلقيسَ يتَقدَّمهم رجلٌ عَظيمُ الهيئةِ معهُ هَدايا ثَمينةٌ، فلمَّا رأَى المكانَ الفخمَ، والجيشَ السُليمانِي العَظيمَ، والجُنُودَ التي لا حصرَ لهَا، والقوةَ التي لا تُهزم، لَمْ يُصدّق عَينيه، لأَنَّهُ لَمْ يرَ في حياتِهِ مثلَ هذِه العَظمةِ أَبدًا، فشعرَ بصغرِ حجمِهِ وقلةِ جَيشِهِ وجنُودِهِ، وضَعفِ قوّتِهِ أَمامَ سُليمانَ، فتقدَّم وهو مُندهش، وقدَّم إلى سُليمانَ الهديَّةَ، فرفضَ سُليمانُ أَنْ

يقبلها، وأخبره أنه لا يريد منهم هدايا، وإنما يريدهم أن يعبدُوا اللهَ وحدَهُ ويتركُوا عبادةَ الشمسِ، وهدَّده إنْ لَمْ يسمعُوا لهُ فسوفَ يأتيهِمْ بما لا يُطيقونَ، فقالَ: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ٣٦ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ [النمل: ٣٦-٣٧].

ثُمَّ أَمرَ بانصرافِهِمْ، فرجوهُ أَنْ ينتظرَ ولا يُقدِمَ عَلى حَربِهِمْ حتَّى يَعودُوا إلى الملكةِ ويُخبِروها بما حدثَ، فوافقَ سُليمانُ أن ينتظرَ أَيامًا.

إسلامُ بلقيسَ وقومِها

رجعَ رَسُولُ بلقيسَ ومَن معهُ بالهدايا إلى اليمنِ، ومَا إن وصلَ إلى سَبأ حتّى دخلَ القصرَ عَلى الملكة التي كانَتْ تنتظرُ عودَتهُ وأخبارَهُ على أَحرَّ من الجمرِ، فلمَّا رأتهُ سألتهُ: ماذَا فعلتَ؟ فأَجابهَا: لقَدْ ردَّ سُليمانُ هداياكِ ولم يقبلهَا. فقالَتْ مُتعجِّبةً: ردَّ هدايانَا العَظيمةَ؟! كيفَ؟ فقالَ: إنَّ هَدايانَا هذه لا تُساوي شَيئًا في ملكِهِ العَظيمِ. فقالَتْ بلقيسُ: ماذَا رأيتَ في مُلكِهِ؟ وماذَا عن جيشِهِ؟ فقالَ: رأيتُ الجنَّ يسمعونَ

أَوامرَهُ، وتحتَ طَاعتِهِ، والطيورَ تُظلِّلُه من الشمسِ، والريحَ تَسيرُ بأمرِهِ، مَلكٌ - يا سَيدتي - لَمْ أرَ مثلهُ في الملوكِ، ولَمْ أَسمع بمثلهِ من قَبل. فقالَتْ بلقيسُ: وماذَا قالَ لكَ؟ فقالَ: خَيَّرنَا بأَنْ نُسلمَ أو يأتيَ إلينَا بجيشٍ عظيمٍ ليحاربَنا.

فقالَتْ: وماذَا تَرى أنتَ؟ قالَ: أَرى أنَّنا لا نستطيعُ أَنْ نُحاربَ هذا الملكَ. فسكتَتِ الملكةُ قَليلًا، ثُمَّ قالَتْ: سأذهبُ أنَا لمقابلتِهِ ولقائِه.

وَجهَّزتِ الملكةُ نفسَهَا للخروجِ، وكانَ أَغلى شَيءٍ عندهَا هو عرشُهَا، فوضعتهُ في غُرفةٍ، وأَغلقتْ عليه الأبوابَ، وجعلَتْ عليها حُرَّاسًا يحرسونَ العرشَ، ثُمَّ خَرجتْ وحولَها الأمراءُ والوزراءُ ورجالُ الدولةِ مُتَّجهينَ إلى الشَّامِ.

ولمَّا علمَ سُليمانُ - عَلَيهِ السَّلَامُ - بخروجِ بلْقيسَ وقومها، فكر أن يفعل شيئًا عظيمًا، لتعرف أنَّه أَعظمُ مُلوكِ الأرضِ، وكانَ الهدهدُ قَدْ أخبرَ سُليمانَ بعظمةِ عرشِ بلقيسَ، وأنَّهُ عرشٌ نادرٌ، وهو أَغلى شيءٍ في مملكتِهَا، فأَمرَ سُليمانُ جُنوده بأَنْ يأتوهُ بالعرشِ قَائلًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٨]؟

فقالَ عِفريتٌ من الجنِّ: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ﴾ [النمل: ٣٩].

وكانَ في المجلس رَجلٌ من العُلماءِ، يَحفظُ الاسمَ الأَعظمَ الذي إذَا دعَا به استجيبَ لهُ في الحالِ، فقالَ: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ﴾ [النمل: ٤٠].

ولَمْ يَكدِ الرَّجلُ يتمُّ جُملتَهُ حتّى وجدَ سُليمانُ ـ عَلَيهِ السَّلَامُ ـ عرشَ بِلْقِيسَ بهيئتهِ الكاملةِ أَمامَهُ في غَمضةِ عَينٍ وفي لمحِ البصرِ، فشكرَ سُليمانُ ـ عَلَيهِ السَّلَامُ ـ ربَّهُ عَلى مَا أَعطاهُ من عَظيمِ النِّعمِ، قالَ تعالَى: ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٞ﴾ [النمل: ٤٠].

ثُمَّ أَمَرَهُمْ سُليمانُ أَنْ يغيِّروا شكلَ العرشِ قَليلًا ليعلمَ ذكاءَ بِلقِيسَ، وهَلْ تعرفهُ أَمْ لَا؟ كمَا أَمَرَهُمْ ببناءِ قَصرٍ كَبيرٍ مِن البلورِ، يَجري الماءُ تحتَ زُجاجِهِ، حتّى إذَا رآهُ الرَّائِي ظَنَّ أَنَّهُ نهرُ مَاءٍ، وأَمرَ أَنْ يُوضعَ فيهِ العرشُ.

وبعدَ أَيامٍ.. جَاءتْ بِلقيسُ، فأخذَهَا إلى القصرِ، وأَراهَا

العرشَ، ثُمَّ سألهَا: ﴿أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ [النمل: ٤٢].

ولَمْ تكُنِ الملكةُ تتوقّعُ أَنْ يستطيعَ أَحدٌ أَنْ يَأتِي بعرشِهَا من اليمنِ. فقالَ لهَا سُليمانُ: إنّهُ هو عرشُكِ، وقَدْ أحضرتُهُ من مملكتِكِ الآنَ. ثُمَّ طَلبَ مِنها أَنْ تدخل الصَّرحَ لتصلَ إلى عرشِهَا، فنَظرتْ بلقيسُ إلى أَرضِيةِ القصرِ، فحسبتهَا ماءً، فرفعَتْ ذيلَ ثوبِهَا حتّى لا يبتلَّ من الماءِ، فقالَ لهَا سُليمانُ: ﴿إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَ﴾ [النمل: ٤٤]. فدخلَتْ، ووصلَتْ إلى عرشِهَا، وعرفتهُ، وتأكدَتْ مِن عظمةِ مُلكِ سُليمانَ وقوَّتِه، وعلمَتْ أَنَّهُ رَسُولٌ مِن عندِ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ، يدعُو النَّاسَ إلى مَا فيهِ خَيرهم في الدنيَا والآخرةِ، يدعوهُمْ إلى الإيمانِ باللهِ الواحدِ، وعبادتهِ، فآمنَتْ بالله العَظيمِ، ورفعَتْ رأسَها إلى السماءِ تقولُ: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤]. وأَسلَم كلُّ قومِهَا بفضلِ اللهِ تَباركَ وتعالَى، وكانَ الهُدهدُ هُو سَببَ ذلكَ.

❊❊ ❊❊ ❊❊